٦٤ – باب فضل الغَنِيّ الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بِهَا

قَالَ الله تَعَالَى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسْرَى} [الليل: ٥ – ٧] وقال تَعَالَى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى} [الليل: ١٧ – ٢١] وقال تَعَالَى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِي وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة: ٢٧١] وقال تَعَالَى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ} [آل عمران: ٩٢] والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

==========

قَالَ الله تَعَالَى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسْرَى) .

(**فَأَمَّا مَن أَعْطَى**) أي : أعطى ما أمر بإخراجه من النفقات الواجبة والمستحبة كالزكاة والإنفاق على الأهل والأولاد وسائر الصدقات .

(**وَاتَّقَى**) أي : واتقى الله في أمره .

(**وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**) اختلف العلماء في معناها :

فقيل : أي صدق بـ (لا إله إلا الله) وما دلت عليه من العقائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء ، ودليله قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ).

وقيل : بالخلف ، كما قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ) .

وقال ﷺ (ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ينزل ملكان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ...) .

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ (ما من يوم غربت فيه شمسه إلا وبجَنْبَتَيْهَا ملكان يناديان بصوت يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا". وأنزل الله في ذلك القرآن (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

– **قال ابن عطية** : وقال كثير من المفسرين (الحسنى) الأجر والثواب مجملاً .

(**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**) أي: نيسر له أمره، ونجعله مسهلاً عليه كل خير، ميسراً له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير فيسر الله له ذلك، لأن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها ، قال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) وقال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

– **قال ابن عطية** : و" اليسرى " الحال الحسنة المرضية في الدنيا والآخرة ، و" العسرى " : الحال السيئة في الدنيا والآخرة .

– **قال بعض السلف** : من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها .

قال بعض العلماء : (فَسَنُيَسِّرُهُ لليسرى) أي نرشده لأسباب الخير والصلاح ، حتى يسهل عليه فعلها.

الفوائد :

١–أن المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفقه في طاعة الله ، **ومما يدل على ذلك :**

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) .

وقال تعالى (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

وقال تعالى (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى) .

وقال تعالى عن الكافر (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) .

وقال ﷺ : (يا ابن آدم ، إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك) .

٢-فضل الإنفاق في طاعة الله .

٣-أن المنفق في سبيل الله ييسر الله أموره ويشرح صدره .

٤-ذم البخل .

وقال تَعَالَى (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى) .

(**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى**) أي وسنزحزح عن النار التقي النقي .

قال الرازي : أجمع المفسرون منا على أن المراد منه أبو بكر ﷺ .

قال ابن كثير : قد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، ﷺ ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى (وسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًا كريماً جوادًا بذالاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف، يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك ، وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال (وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى) وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال (من أنفق زوجين في سبيل الله دَعَتْه خَزَنَةُ الجنة: يا عبد الله، هذا خير" ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يُدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: "نعم، وأرجو أن تكون منهم) متفق عليه .

- فيه أنه كلما كان الإنسان لله أتقى كان عن النار أبعد .

ثم فسر التقي بقوله :

(**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**) أي : يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا .

قال الشوكاني : ثم ذكر سبحانه صفة الأتقى فقال (الذى يُؤْتِى مَالَهُ) أي : يعطيه ، ويصرفه في وجوه الخير ، وقوله (يتزكى) في محل نصب على الحال من فاعل يؤتي ، أي : حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكياً لا يطلب رياء ولا سمعة .

- فالنفس تزكو وتنجو من البخل والشح ، والمال يزكو وينمو ويزيد كما قال ﷺ (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم .

(**وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى**) أي : ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطي في مقابلة ذلك ، وإنما إلى دفعه ذلك :

(**إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**) أي : إلا إخلاصاً لله عز وجل وتحقيقاً لرضاه وطلباً لرؤية وجهه الكريم في جنات النعيم .

كما قال تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) .

قال الشوكاني : ومعنى الآية : أنه ليس لأحد من الناس عنده نعمة من شأنها أن يجازى عليها حتى يقصد بإيتاء ما يؤتي من ماله مجازاتها .

- قال الرازي : اعلم أنه تعالى بين أن هذا : الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لا يؤتيه مكافأة على هدية أو نعمة سالفة ، لأن ذلك يجري مجرى أداء الدين ، فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب بل إنما يستحق الثواب إذا فعله ، لأجل أن الله أمره به وحثه عليه.

- قال في التسهيل (وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تجزى) أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم ، بل يفعله ابتداء خالصاً لوجه الله ، وقيل : المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل ، والأول أظهر ويؤيده ما روي أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالاً قالت قريش : كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم .

- يجب أن تكون كل الأعمال لوجه الله تعالى .

كما قال تعالى (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ..) .

وقال تعالى (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) .

وقال تعالى (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) .

وقال تعالى (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) .

وقال تعالى (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً) .

(**وَلَسَوْفَ يَرْضَى**) أي : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وأكثر المفسرين –كما تقدم – على أن هذه الآيات الكريمة نزلت في شأن سيدنا أبي بكر الصديق ﷺ .

قال الإمام ابن جرير ما ملخصه: وذكر أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق.. فقد كان يعتق العجائز من النساء إذا أسلمن، ويشترى الضعفة من العبيد فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بنى، أراك تعتق أناسا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالا جلداء- أي: أشداء- يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك. فقال أبو بكر: أي أبت.. إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات .

قال القرطبي : أي سوف يعطيه في الجنة ما يرْضى ؛ وذلك أن يعطيه أضعاف ما أنفق.

الفوائد :

١. أن التقوى سبب للنجاة من النار .
٢. من أعظم علامات التقوى إنفاق المال لوجه الله .
٣. فضل الإخلاص في العمل .
٤. فضل عظيم لأبي بكر الصديق لإخلاصه .
٥. العمل يعظم إذا كان خالصاً .
٦. التحذير من الرياء .
٧. فضل الكرم والجود .
٨. فضل من يعطَى المال وينفقه في وجوه الخير .

وقال تَعَالَى (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

(**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**) أي: إن أظهرتموها فنِعم شيء هي.

قال السعدي: (إن تبدوا الصدقات) فتظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله (فنعما هي) أي: فنعم الشيء (هي) لحصول المقصود بها.

قال ابن القيم: قوله تعالى (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) أي فنعم شيء هي، وهذا مدح لها موصوفة بكونها ظاهرة بادية فلا يتوهم مبديها بطلان أثره وثوابه فيمنعه ذلك من إخراجها وينتظر بها الإخفاء فتفوت أو تعترضه الموانع ويحال بينه وبين قلبه أو بينه وبين إخراجها فلا يؤخر صدقة العلانية بعد حضور وقتها إلى وقت السر وهذه كانت حال الصحابة.

(وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) أي: وإن تسروها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأنه أبعد عن الرياء.

قال ابن الجوزي: وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين:

أحدهما: يرجع إلى المعطي وهو بُعْدُه عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية.

والثاني: يرجع إلى المعطَى، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأن في العلانية ينكر.

ثم قال: واتفق العلماء على إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها.

قال السعدي: ... وإن أخفاها وسلمها للفقير كان أفضل، لأن الإخفاء على الفقير إحسان آخر، وأيضاً فإنه يدل على قوة الإخلاص، وأحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله (من تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

قال ابن كثير: فيه دلالة على إن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة، من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيثية.

فالأصل أن الإسرار أفضل، لهذه الآية، ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وجاء في الحديث (صدقة السر تطفئ غضب الرب).

قال القرطبي: قوله تعالى (فَنِعِمَّا هِيَ) ثناء على إبداء الصدقة، ثم حكم على أن الإخفاء خير من ذلك.

ولذلك قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطُنع إليك فانشره.

وقال العباس بن عبد المطلب ﷺ: لا يتمّ المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيلُه وتصغيرُه وسترهُ؛ فإذا أعجلته هنيّته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته أتْمَمْته.

وقال بعض الشعراء فأحسن:

زاد معروفُك عندي عِظَماً ... أنه عندك مستورٌ حقِيرْ

تَتَناساه كأَنْ لَمْ تأتِه ... وهو عند الناس مشهور خطِيرْ

وقال رحمه الله: ذهب جمهور المفسرين إلى أن هذه الآية في صدقة التطوّع؛ لأن الإخفاء فيها أفضل من الإظهار، وكذلك سائر العبادات الإخفاءُ أفضل في تطوّعها لانتفاء الرياء عنها.

قال ابن عباس: جعل الله صدقة السر في التطوّع تفضُل علانيتها يقال بسبعين ضِعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سِرّها يقال بخمسة وعشرين ضِعفاً.

قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

قلت: مثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف؛ وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ أنه قال (أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) وذلك أن الفرائض لا يدخلها رياء والنوافل عُرضة لذلك، وروى النَّسائيّ عن عُقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال (إن الذي يجهر بالقرآن كالذي يجهر بالصدقة والذي يُسِرّ بالقرآن كالذي يُسِرّ بالصدقة وفي الحديث: صدقة السرّ تُطْفِئ غضب الرب).

الفوائد :

١. فضل من يتصدق وينفق من ماله في وجوه الخير .
٢. فضل الغني إذا كان شاكراً منفقاً لوجه الله .
٣. أن إخفاء الصدقة أفضل .
٤. أن العمل كلما كان خالصاً خفياً كان أفضل وأعظم .

٥. فضل الجود والكرم .

٦. ذم البخل .

وقال تَعَالَى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ) .

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قيل في معنى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ) أي: لن تبلغوا ثواب البر، وقيل: لن تبلغوا درجة ومنزلة أهل البر.

والمراد بالنفقة هنا: قيل الواجبة، وقيل: جميع الصدقات، وقيل: جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن.

ومعنى الآية: لن تنالوا حقيقة البر، ولن تبلغوا ثوابه الجزيل الذي يوصلكم إلى رضا الله، وإلى جنته التي أعدها لعباده الصالحين، إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها في سبيل الله، وما تنفقوا من شيء –ولو قليلاً– فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه بأكثر مما أنفقتم وبذلتم.

أي: لن تنالوا وتدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة (حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم. (تفسير السعدي)

قال السعدي: فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفس، من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها ورقتها.

– أمثلة تطبيقية:

أ– عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قال (كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بخْ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ) متفق عليه.

ب–وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ (أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» قَالَ فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلاَ يُبْتَاعُ وَلاَ يُورَثُ وَلاَ يُوهَبُ. قَالَ فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَفِى الْقُرْبَى وَفِى الرِّقَابِ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ. قَالَ فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مُحَمَّدًا فَلَمَّا بَلَغْتُ هَذَا الْمَكَانَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ. قَالَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالاً. قَالَ ابْنُ عَوْنٍ وَأَنْبَأَنِي مَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنَّ فِيهِ غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مَالاً) متفق عليه

ج– وعنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ «الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قَالَ قُلْتُ أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا ...) رواه مسلم.

د– كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه إلى ربه امتثالاً لقوله تعالى (لن تنالوا البر ...).

هـ- قال القرطبي: وكذلك فعل زيد بن حارثة، عمد مما يحب إلى فرس له يقال له «سبل» وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إلى من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ .

و- واشترى ابن عمر جارية أعجبته فأعتقها فقيل له: لم أعتقتها ولم تصب منها؟ فقال (لَن تَنَالُوا البر حتى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون) .

ز- وأعتق ابن عمر نافعاً مولاه، وكان أعطاه فيه عبد الله بن جعفر ألف دينار، قالت صفية بنت أبي عبيد: أظنه تأوّل قول الله عز وجل (لَن تَنَالُوا البر حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون).

ح- وكان الربيع بن خثيم إذا جاءه السائل يقول لمولاته: يا فلانة أعطي السائل سكراً، فإن الربيع يحب السكر.

ط- وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدالاً من سكر ويتصدّق بها، فقيل له: هلا تصدّقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب إليّ فأردت أن أنفق مما أحبّ.

وقال الحسن: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تُدركوا ما تأمّلون إلا بالصبر على ما تكرهون

(وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ) من صغير أو كبير.

(فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم عليه أتم الجزاء.

- قال السعدي: ولما كان الإنفاق على أي: وجه كان مثاباً عليه العبد، سواء كان قليلاً أو كثيراً، محبوباً للنفس أم لا وكان قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) مما يوهم أن إنفاق غير هذا المقيد غير نافع، احترز تعالى عن هذا الوهم بقوله (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فلا يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه.

الفوائد:

١ - فضل الإنفاق مما يحبه الإنسان.

٢ - أنه كلما أنفق الإنسان مما هو أحب إليه، كان أكثر لبره.

٣ - عموم علم الله تعالى.

٤ - إثبات الجزاء.

٥٧٠ - وعن عبدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ (لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفقٌ عَلَيْهِ. وتقدم شرحه قريبًا.

٥٧١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قَالَ (لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ) متفقٌ عَلَيْهِ.

«الآناء»: السَّاعاتُ.

==========

[الحديث تقدم شرحه : ٥٤٣] .

١ – الحسد المذكور هنا هو الغبطة .

ومعنى الحديث : أنه لا أحد يغبط على ما أتاه الله من مال أو غيره إلا في اثنتين فقط:

الأولى: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار.

الثانية: رجل أعطاه الله مالاً، فهو ينفقه في وجوه الخير.

قال النووي : ومعناه يَنْبَغي أَنْ لاَ يُغبَطَ أحَدٌ إِلاَّ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ.

وقال ابن القيم: فأخبر ﷺ أنه لا ينبغي لأحد أن يحسد أحداً، يعني: حسد غبطة، ويتمنى مثل حاله من غير أن يتمنى زوال نعمة الله عنه إلا في واحدة من هاتين الخصلتين، وهي الإحسان إلى الناس بعلمه أو ماله، وما عدا هذين فلا ينبغي غبطته ولا تمني مثل حاله لقلة منفعة الناس به.

٢-الحديث دليل على فضل الغني الشاكر، الذي ينفقه ماله بالخير ووجوه البر .

قال ابن الملقن : فيه أن الغني إذا قام بشرط المال وفعل فيه ما يرضي الله كان أفضل من الفقير .

٣- **قال الخطابي** : ومعنى الحديث التحريض والترغيب في تعلم العلم والتصدق بالمال .

٤-**قال السندي** -رحمه الله-: والمراد: أنه لا تنبغي الغبطة في الأمور الخسيسة، وإنما تنبغي في الأمور الجليلة الدقيقة؛ كالجود والعلم مع العمل .

٥٧٢ - وعن أَبي هريرة ﷺ (أنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرينَ أتَوْا رسول الله ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيم المُقِيم، فَقَالَ: «وَمَا ذَاك؟» فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرِينَ إِلَى رسول الله ﷺ فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ : ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ). متفقٌ عَلَيْهِ، وَهَذا لفظ رواية مسلم.

«الدُّثُور»: الأمْوَالُ الكَثِيرَةُ، وَالله أعلم.

==========

(**أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ**) سُمِّيَ منهم في رواية محمّد بن أبي عائشة عن أبي هريرة. أبو ذرّ الغفاريّ. أخرجه أبو داود، وأخرجه جعفر الفريابيّ في كتاب " الذّكر " له من حديث أبي ذرّ نفسه، وسُمِّيَ منهم أبو الدّرداء عند النّسائيّ وغيره من طرق عنه، ولمسلمٍ من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أنّهم قالوا: يا رسولَ الله. فذكر الحديث، والظّاهر أنّ أبا هريرة منهم، وفي رواية النّسائيّ عن زيد بن ثابت قال: أمرنا أن نسبّح. الحديث كما سيأتي لفظه، وهذا يمكن أن يقال فيه إنّ زيد بن ثابت كان منهم، ولا يعارضه قوله في رواية ابن عجلان عن سميٍّ عند مسلم " جاء فقراء المهاجرين " لكون زيد بن ثابت من الأنصار لاحتمال التّغليب.

(**ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ**) جمع دثر (بفتح ثم سكون) هو المال الكثير.

(**بِالدَّرَجَاتِ الْعُلاَ**) بضمّ العين جمع العلياء وهي تأنيث الأعلى، ويحتمل: أن تكون حسّيّة، والمراد درجات الجنّات، أو معنويّة، والمراد علوّ القدر عند الله.

(**وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ**) وصفه بالإقامة إشارة إلى ضده وهو النعيم العاجل، فإنه قل ما يصفو وإن صفا فهو بصدد الزوال، وفي رواية محمد بن أبي عائشة المذكورة (ذهب أصحاب الدثور بالأجور) وكذا لمسلم من حديث أبي ذر.

(**وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ**) زاد في حديث أبي الدّرداء المذكور (ويذكرون كما نذكر) وللبزّار من حديث ابن عمر (صدَّقوا تصديقنا، وآمنوا إيماننا).

(**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا**) وللبخاري "فقال: ألا أحدّثكم بما إن أخذتم به" ، في رواية الأصيليّ "بأمرٍ إن أخذتم" ، وكذا للإسماعيليّ.

(**تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ مَنْ بَعْدَكُمْ** ...) أي: من أهل الأموال الذين امتازوا عليكم بالصدقة، والسبقية هنا يحتمل أن تكون معنوية، وأن تكون حسية، قال الشيخ تقى الدين والأول أقرب.

(**وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ**) وللبخاري (وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيهم) بفتح النّون وسكون التّحتانيّ.

(**دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ**) المراد بعد الصلاة المفروضة، لرواية مسلم حيث بيّنت أنه بعد الفريضة، ففي حديث كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ (معقبات لا يخيب قائلهن بعد كل فريضة ...).

(**ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً**) يحتمل: أن يكون المجموع للجميع، فإذا وزّع كان لكل واحد إحدى عشرة، وهو الذي فهمه سهيل بن أبي صالح. كما رواه مسلم من طريق روح بن القاسم عنه.

لكن لَم يتابع سهيل على ذلك، بل لَم أر في شيء من طرق الحديث كلّها التّصريح بإحدى عشرة إلاَّ في حديث ابن عمر عند البزّار. وإسناده ضعيف.

والأظهر: أنّ المراد أنّ المجموع لكل فرد فرد، فعلى هذا ففيه تنازع أفعال في ظرف ومصدر، والتّقدير تسبّحون خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين وتحمدون وتكبّرون كذلك.

١-استدل بالحديث من قال : إن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر .

لقوله (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) .

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل لِمَنْ فَضَّلَ الْغَنِيّ الشَّاكِر عَلَى الْفَقِير الصَّابِر، وَفِي الْمَسْأَلَة خِلَاف مَشْهُور بَيْن السَّلَف وَالْخَلَف مِنْ الطَّوَائِف. وَاَللَّهُ أَعْلَم.

٢-وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر.

قال الحافظ : وصرح كثير من الشافعية بأن الغني الشاكر أفضل.

أ-لأحاديث الباب :

في قوله ﷺ (... وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ) .

وقوله ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) .

ب-ولقوله ﷺ (اليد العليا خير من اليد السفلى).

ج-ولقوله ﷺ (نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواهِ أحمد.

د-ولحديث سعد. قال: قال ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) رواه مسلم.

قال ابن حجر: وهو دال لما قلته سواء حملنا الغني فيه على المال أو على غنى النفس فإنه على الأول ظاهر وعلى الثاني يتناول القسمين فيحصل المطلوب.

هـ-أن الغني الشاكر نفعه متعدي، بخلاف الفقير الصابر فنفعه قاصرٌ على نفسه، فيكون الأول أفضل من الثاني كما في نظائرها من المسائل.

القول الثاني: الفقير الشاكر أفضل.

أ-لقوله ﷺ (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ...). متفق عليه

ب-ولقوله ﷺ (يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام ...). رواه الترمذي

والراجح الأول.

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية أن من كان تقياً فهو أفضل.

قال ابن تيمية: قد تنازع كثير من متأخري المسلمين في الغنى الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل فرجح هذا طائفة من العلماء والعباد ورجح هذا طائفة من العلماء والعباد وقد حكي في ذلك عن الامام احمد روايتان، وأما الصحابة والتابعون فلم ينقل عنهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر.

وقال طائفة ثالثة: ليس لأحدهما على الآخر فضيلة إلا بالتقوى فأيهما كان أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل، وان استويا في ذلك استويا في الفضيلة وهذا أصح الأقوال، لأن الكتاب والسنة إنما تفضل بالإيمان والتقوى وقد قال الله تعالى (إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما).

وقال القرطبي: ذهب قوم إلى تفضيل الغني ; لأن الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز، قال الماوردي: وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة، وذهب آخرون إلى تفضيل الفقير ; لأن الفقير تارك والغني ملابس، وترك الدنيا أفضل من ملابستها قال الماوردي: وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة.

وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين بأن يخرج من حد الفقر إلى أدنى مراتب الغنى ليصل إلى فضيلة الأمرين، قال الماوردي: وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال، وأن خيار الأمور أوساطها.

قال ابن هبيرة الوزير الحنبلي: ولو لم يكن في الفقر إلا أنه باب رضاء الله ولو لم يكن في الغنى إلا أنه باب سخط الله، لأن الإنسان إذا رأى الفقير رضي عن الله في تقديره، وإذا رأى الغني تسخط بما هو عليه، وذلك يكفي في فضل الفقير على الغني.

٣-رغبة الصحابة ﷺ الشديدة في الخير، وتنافسهم بالأعمال الصالحة، ففي هذا الحديث أن الفقراء جاءوا إلى النبي ﷺ وبينوا له أن إخوانهم الأغنياء قد سبقوهم ببعض الأعمال الصالحة، وذلك أن عندهم فضل من مال، فيحجون ويعتمرون ويتصدقون ويجاهدون، وهم لا يستطيعون ذلك، فما السبيل للحاق بهم؟

وهذا هو التنافس الشريف.

قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

وقال تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون).

قال ابن القيم: ... كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه، بل يحض بعضهم بعضاً، وهي نوع من المسابقة، وقد قال تعالى: سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض.

وقد كان الرسول ﷺ وصحابته يبادرون للخيرات:

فقد ثبت في البخاري عن عقبة بن الحارث قال (صليتُ وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجَر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: ذكرت شيئاً من تِبْرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته) [التبر: قطع ذهب أو فضة].

وعن ربيعة بن كعب قال (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سلني، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو (أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ : قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعط) رواه أبوداود.

٤ – الحزن على ما فات من الأعمال الصالحة، وهذا كان دأب الصحابة رضوان الله عليهم.

أمثلة تدل على ذلك:

أولاً: ما جاء في حديث الباب: حيث كان الفقراء يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم.

ثانياً: الحزن على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته.

كما قال تعالى (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون).

ثالثاً: التأسف على عدم فعل الطاعة.

فإن ابن عمر لما بلغه حديث (من شهد الجنازة حتى تدفن فله قيراط، ومن شهدها حتى يصلى عليها فله قيراطان) قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة.

قال إبراهيم بن أدهم: دخلنا على عابد مريض وهو ينظر إلى رجليه ويبكي. فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرت في سبيل الله.

بكى أحد السلف فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يوم مضى ما صمته، وعلى ليلة ما قمتها.

عاقب عمر بن الخطاب ﷺ نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدّق بأرض قيمتها مائتي ألف درهم.

ابن عمر – رضي الله عنهما – كان إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة.

فاتت ابن أبي ربيعة ركعتا سنة الفجر فأعتق رقبة.

قال ابن رجب –رحمه الله–:وفي هذا الحديث: دليل على أن الصحابة ﷺ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير– كانوا يحزنون على ما يتعذَّر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد؛ لعدم القدرة على آلته، وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه فقال (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُون) وفي هذا الحديث: أن الفقراء غَبَطُوا أهل الدُّثُور... بما يحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم، فدلَّهم النبي ﷺ على صدقات يقدرون عليها.

٥ – ينبغي على المسلم المسارعة إلى الخيرات والأعمال الصالحات.

كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض).

وقال تعالى (فاستبقوا الخيرات).

وقال تعالى (يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون).

وقال ﷺ (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) رواه أحمد.

٦ – الحث على علو الهمة.

قال ﷺ (إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها) رواه الطبراني.

وقال ﷺ (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) متفق عليه.

وقال ﷺ (إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه) رواه ابن حبان.

وقال ﷺ (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى) رواه البخاري.

وقال ﷺ (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ) رواه البخاري.

وعن ربيعة بن كعب قال (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سلني، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم.

٧ – سعة فضل الله ورحمته حيث جعل أبواب الخير كثيرة.

٨ – فضل الصدقة بالمال.

٩ – أن العمل الصالح صدقة، وقد قال ﷺ (كل معروف صدقة).

وجاء في روايات للحديث (تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلو أخيك لك صدقة).

وعند ابن حبان (ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة، في كل يوم طلعت فيه الشمس، قيل: يا رسول الله: ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ قال: إن أبواب الجنة لكثيرة، التسبيح والتحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك).

قال ابن رجب رحمه الله: " والصدقة بغير المال نوعان:

أحدهما: ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق فتكون صدقة عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال.

وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دعا إلى طاعة الله، وكف عن معاصيه، وذلك خير من النفع بالمال، وكذلك تعليم العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم.

الثاني: من الصدقة التي ليست مالية ما نفعه قاصر على فاعله، كأنواع الذكر من التكبير والتحميد والتهليل والاستغفار.

١٠ – فضل ذكر الله وأنه صدقة على النفس.

١١–**قال فيصل بن مبارك** –رحمه الله–: في هذا الحديث: فضل التنافس في الخير، والحرص على العمل الصالح، وجَبْر خَاطِر من لا يقدر على الصدقة ونحوها، وترغيبه فيما يقوم مقامها من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير. .

١٢–**قال القاضي عياض** –رحمه الله–: الحديث فيه فضل التسبيح والتكبير والتحميد إثر الصلاة.

١٣–**قال ابن الجوزي** –رحمه الله–: وهذا الحديث يتضمن شكوى الفقراء وغِبْطَتَهم للأغنياء، كيف ينالون الأجر بالصدقة، وهم لا يقدرون، فأخبرهم أنهم يثابون على تسبيحهم وتحميدهم وأفعالهم الخير كما يثاب أولئك على الصدقة .

١٤– الحديث دليل على أنه يشرع بعد السلام من الصلاة قول هذا الذكر.

بعض صفات التسبيح والتحميد والتكبير الواردة التي تقال بعد الصلاة:

الصفة الأولى: سبحان الله [٣٣] والحمد لله [٣٣] والله أكبر [٣٣] وتمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ... .

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ سَبَّحَ اَللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ اَللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ اَللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ ، وَقَالَ تَمَامَ اَلْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ اَلْمُلْكُ ، وَلَهُ اَلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ اَلْبَحْرِ) رواه مسلم.

الصفة الثانية: سبحان الله [٣٣] والحمد لله [٣٣] والله أكبر [٣٤].

كما في حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ - ثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ تَسْبِيحَةً وَثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ تَحْمِيدَةً وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَةً فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ) رواه مسلم.

الصفة الثالثة: سبحان الله [٣٣] والحمد لله [٣٣] والله أكبر [٣٣].

كما في حديث الباب (تسبحون الله وتكبرون خلف كل صلاة، ثلاثاً وثلاثين ...) .

الصفة الرابعة: سبحان الله [٢٥] والحمد لله [٢٥] والله أكبر [٢٥] ولا إله إلا الله [٢٥].

عن زيد بن ثابت ﷺ قال (أُمرنا أن نسبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، ونحمده ثلاثاً وثلاثين، قال: فرأى رجل في المنام فقال: أمركم رسول الله ﷺ أن تسبحوا في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبروا أربعاً وثلاثين، قال: نعم، قال: فاجعلوا خمساً وعشرين، واجعلوا التهليل معهن، فغدا على النبي ﷺ فحدثه فقال، افعلوا) رواه الترمذي.

الصفة الخامسة: سبحان الله [١٠] والحمد لله [١٠] والله أكبر [١٠].

لحديث عبد الله بن عمر قال ﷺ: (خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل، تسبح الله في دبر كل صلاة عشراً، وتكبره عشراً، وتحمده عشراً، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده، فتلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان) رواه الترمذي.

قوله (فتلك خمسون ومائة باللسان) وذلك لأن بعد كل صلاة من الصلوات الخمس ثلاثون تسبيحة وتحميدة وتكبيرة وبعد جميع خمس الصلوات مائة وخمسون، وقد صرح بهذا النسائي في عمل اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: (ما يمنع أحدكم أن يسبح دبر كل صلاة عشراً، ويكبر عشراً، ويحمد عشراً، فذلك في خمس صلوات خمسون ومائة).

قوله (وألف وخمسمائة في الميزان) وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، فيحصل من تضعيف المائة والخمسين عشر مرات ألف وخمسمائة.

١٥-**قال ابن الملقن** -رحمه الله-: في حديث الباب: الحضُّ على التسبيح والتحميد في أدبار الصلوات، وأن ذلك يُوَازِي في الفضل إنفاق المال في طاعة الله؛ لقوله : أفلا أخبركم بما تدركون به من كان قبلكم؟ .

١٦-**قال ابن حجر** -رحمه الله- وفيه: المسابقة إلى الأعمال المحصلة للدرجات العالية؛ لمبادرة الأغنياء إلى العمل بما بلغهم، ولم يُنْكِر عليهم ﷺ؛ فيؤخذ منه: أن قوله: «إلا من عمل» عام للفقراء والأغنياء؛ خلافًا لمن أوَّلَهُ بغير ذلك.

وفيه: أن العمل السهل قد يدرك به صاحبه فضل العمل الشاق...

وفيه: أن العمل القاصر قد يساوي المتعدِّي؛ خلافًا لمن قال: إن المتعدِّي أفضل مطلقًا، نبَّه على ذلك الشيخ عز الدين ابن عبد السلام. (الفتح)

١٧-**قال أبو العباس القرطبي** -رحمه الله- وقد اتفق مساق هذه الأحاديث: على أن أدبار الصلوات، أوقات فاضلة للدعاء والأذكار، فيُرْتَجَى فيها القبول، ويبلغ ببركة التفرغ لذلك إلى كل مَأْمُول، وتسمَّى هذه الأذكار: مُعَقِّبات؛ لأنها تقال عَقِيْبَ الصلوات.